

دور الهوية التاريخية والبعد الجغرافي في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية
- مدينة بسكرة أنموذجا -

**The role of historical identity and geographical dimension in
shaping the morphology of the Algerian city**

- The city of Biskra is a model -

تاريخ النشر: 2024/06/24

تاريخ القبول: 2024/04/24

تاريخ الإرسال: 2024/03/04

بن شوية منيرة¹

EMAIL: mounira.benchouia@univ-biskra.dz ، الجزائر، جامعة بسكرة،¹

الملخص

عرفت المدينة الجزائرية تغيرات على امتدادها التاريخي التي تميز بهويتها التاريخية والعقيدة الإسلامية العربية الأمازيغية، التي تميز كل منطقة وكل مدينة من مناطق ومدن الجزائر إلى جانب تأثير البعد الجغرافي التي أعطتها لمسة نظرا لتوسطها العالم وموقعها الجغرافي المميز وتنوع تضاريسها ومناخها التي أعطى لمسة تمثلت في التحولات المورفولوجية والاجتماعية، وتنوع الإرث الثقافي إلى جانب تغيراتها المعمارية انعكس على التنوع اللغوي والتنوع الثقافي للمجتمع لتشكل خصوصية عمرانية تميز كل مدينة من مدن الجزائر.

ومدينة بسكرة إحدى المدن الجزائرية التي تتميز بهويتها التاريخية المتميزة عن بقية المدن وتنوعها الثقافي والاجتماعي الذي انعكس على حضارتها والعقيدة الإسلامية العربية الأمازيغية كهوية انعكست على بناء وتشيد المدينة بتميز بمورفولوجية خاصة ميزت المنطقة أو المدينة.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الهوية التاريخية، البعد الجغرافي، المورفولوجيا، المدينة.

المؤلف المرسل: بن شوية منيرة، الإيميل: mounira.benchouia@univ-biskra.dz

Abstract:

The Algerian city has witnessed changes throughout its historical extension, which are distinguished by its historical identity and the Arab-Berber Islamic faith, which distinguishes every region and every city of Algeria, in addition to the influence of the geographical dimension, which gave it a touch due to its mediation in the world, its distinctive geographical location, and the diversity of its terrain and climate, which gave it a touch represented by morphological transformations. Social, and the diversity of the cultural heritage, in addition to its architectural changes, was reflected in the linguistic diversity and cultural diversity of society, forming an urban specificity that distinguishes every city in Algeria.

The city of Biskra is one of the Algerian cities that is distinguished by its historical identity distinct from the rest of the cities and by its cultural and social diversity, which was reflected in its civilization and the Arab-Berber Islamic faith as an identity that was reflected in the building and construction of the city with a special morphology that distinguished the region or city.

Keywords: identity, historical identity, geographical dimension, morphology, city.

1. مقدمة:

إن الهوية التاريخية والبعد الجغرافي عنصران هامين في تحديد أي مجتمع من مجتمعات العالم، فلكل منطقة ومدينة أو دولة لها خصوصيتها التاريخية التي مر بها مجتمعتها وأعطتها ثقافة متنوعة وعادات وتقاليد وعُرف إلى جانب اللغات التي تداولت وتطورت في العصر الحديث، فالهوية التاريخية التي ميزت كل مجتمع هي ليست الهوية الحاضرة بل هي امتداد تاريخي على مر العصور والحقب التاريخية، فليس هناك هوية بدون تاريخ ولا تاريخ بدون هوية فهي تأثر وتتأثر بشكل الهوية التاريخية المميزة وتختلف من مجتمع لآخر، إلى جانب البعد الجغرافي فلا يوجد مجتمع دون موقعه الجغرافي الذي

يميز المنطقة من تضاريس ومناخ حيث يتأثر الفرد والمجتمع بها، وبذلك تتشكل الهوية الجغرافية التي انعكست على التنوع الثقافي والاجتماعي للأفراد والمجتمعات.

والجزائر كباقي دول العالم عرفت بتاريخها المجيد ونضالها الطويل للتحرير من كل المستعمرات بداية من الرومان والوندال والبيزنطيين... فقد مر بالجزائر العديد من الحضارات التي ميزت الهوية التاريخية على امتدادها التاريخي الطويل ومحاولة السكان الأصليين بالتمسك بالثوابت الثقافية والاجتماعية للمنطقة، وذلك ما ترتب عليه تأثير وتأثر بها إلا أنها استطاعت التمسك بهويتها التي تميزت عن باقي الدول، إلى جانب البعد الجغرافي نظرا لموقعها المتميز فهي تتوسط العالم ومطمع كل الدول المستعمرة لثرواتها الهائلة وتنوع تضاريسها ومناخها عبر كل المناطق في الجزائر، فالهوية التاريخية الوطنية والبعد الجغرافي شكل مورفولوجية مميزة تميزت بها المدن الجزائرية التي تأثرت بالهوية التاريخية التي مرت على مر العصور والبعد الجغرافي المميز انعكس على العمارة والعمران الذي تأثر بالحضارة التي مرت بها الجزائر والعقيدة الإسلامية العربية الأمازيغية.

ومدينة بسكرة كغيرها من مدن الجزائر مرت على امتدادها التاريخي بعدة حضارات تأثرت وأثرت بها وشكلت هوية ثقافة واجتماعية أعطت لمسة للمجتمع البسكري، ونظرا للتنوع الثقافي والاجتماعي للمنطقة انعكس هذا التنوع على عمارة المدينة بشكل تغيرات مورفولوجية للمدينة.

وبناء على هذا كان التساؤل الرئيسي التالي:

• ما هو دور الهوية التاريخية والبعد الجغرافي في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية ؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي الأسئلة الفرعية التالية:

- كيف ساهمت الهوية التاريخية في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية ؟
- كيف ساهم البعد الجغرافي في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية ؟
- ما هي أنماط مورفولوجية المدينة الجزائرية ؟
- ما هي المعطيات العمرانية لمدينة بسكرة ؟

1.1. أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع دراستنا أهمية بالغة في الدراسات الاجتماعية من خلال معرفة الهوية التاريخية لكل منطقة من مناطق الجزائر التي مرت بها عبر العديد من الحضارات على امتدادها التاريخي العريق الذي أعطى خصوصية اجتماعية وثقافية للمنطقة، إلى جانب البعد الجغرافي الذي أضفى لها مميزات طبيعية تميز بها المجتمع الجزائري، هذين البعدين شكلان عمارة أو تغيرات مورفولوجية بها، ونظرا للتأثر بالهوية التاريخية والعقيدة الإسلامية العربية الأمازيغية والمعطيات الطبيعية التي ميزت كل منطقة وكل مدينة من المدن الجزائرية.

2.1. أهداف الدراسة:

لكل بحث أهداف معينة يسعى لتحقيقها الباحث، حيث نحاول في هذه الدراسة معرفة مايلي:

- معرفة الهوية التاريخية للمدن الجزائرية.
- معرفة البعد الجغرافي للمدن الجزائرية.
- معرفة مميزات العمارة في المدن الجزائرية من خلال دراسة حالة بسكرة كمدينة من المدن الجزائرية التي عرفت بتاريخها الطويل ومرور عدة حضارات عليها مما أعطى للمنطقة لمسة ثقافية واجتماعية متنوعة، وذلك من خلال تمسكها بالعقيدة الإسلامية العربية الأمازيغية التي انعكست على مورفولوجية المدينة.

3.1. تحديد المصطلحات:

1.3.1. مفهوم الهوية:

مصطلح الهوية من أكثر المصطلحات تداولاً في الدراسات الاجتماعية والثقافية والسياسية، حيث تناول الكثير من المؤلفات والأبحاث موضوع الهوية خاصة علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاجتماع السياسي...

- لغة: الهوية مشتقة من فعل هوى، هوة، وقيل الهوية بئر بعيدة المهواة (ابن منظور، 1994، صفحة 374).

- اصطلاحاً: أما قاموس لاروس الفرنسي فقد وضع المصطلح المطابق للهوية هو (Idintité) ويعني التماثل أي ربط الهوية بصفة التماثل، للدلالة على صفات ومميزات تحدد شخص ما عن سواه.

أما في قواميس اللغة العربية فقط ربط معنى الهوية بكلمة الجوهر الحقيقة المطلقة بأي حقيقة الأشخاص التي تشمل صفاتهم الجوهرية (منور، 2001، صفحة 08).

- الهوية في علم الاجتماع: تطلق الهوية للشخص في إطار جماعي، بأن يشعر مع أشخاص المجتمع الذي يعيش فيه وينمو فيه (بدوي، 1984، صفحة 589).

الهوية هي اعتراف فردي بقيم المجتمع، يضمن استمرارية المجتمع في حدود الزمان والمكان (الجابري، 1980، صفحة 26).

كما يعرفها اريك ارتكتون عالم النفس الاجتماعي الألماني بأنها " تولد من خلال التفاعل بين الميكانزمات السيكلولوجية والعوامل الاجتماعية والإحساس بالهوية ينتج من الميل اللاشعوري للفرد، بحيث يكون امتداد لتجاربه الذاتية كما ينتج عن الإحساس بالتكامل والوحدة والانتماء من خلال التشابه بنمط معين " (Erikson, 1970, p. 730).

من خلال ما سبق يمكن تعريف الهوية بأنها الوحدة المتكاملة من الأنساق النامية الداخلية من المشاعر ويشعر بوحدته الذاتية وبين التفاعل بين الميكانزمات السيكلولوجية والعوامل الاجتماعية وذلك من خلال الإحساس بالوحدة والانتماء إلى العامة أو المجتمع سواء من الناحية الاجتماعية والثقافية.

2.3.1. مفهوم البعد الجغرافي:

اختلفت الباحثين والعلماء في إعطاء تعريف واحد للبعد وهذا نظرا لاختلاف آرائهم ومذاهبهم مدارسهم واتجاهاتهم الفكرية في اللغة العربية بمعنى البعد هو اتساع المدى... ويقال أنه لذو بعد أي ذو رأي عميق وحزم، كما أنه لا يعني المسافة بل يعني الحجم والعمق، بمعنى ما حجم أو ما قوة اعتراف المجتمع بقيم يجب مراعاتها، وكيف تتم مراعاة

ثقافة المخاطبين ومعتقداتهم وعدم تعديها، فكل شعب وكل مذهب له أبعاده (ملاس و منكول، 2023، صفحة 349).

كما يمكن تعريف البعد الجغرافي بأنها الثقافة ذات الطابع الذي يميز شخصية أية مجموعة من السكان القاطنين في رقعة جغرافية معينة ويرسم السمات النفسية للفرد أو الجماعة والتواصل اللغوي والفكري بين الأفراد القاطنين داخل الوطن الواحد، المعبر عنهم بالمواطنين وأساليب تفاعلهم مع البيئة وطرق استغلال ما في هذه البيئة لصالحهم (خلف، 2006، صفحة 31).

3.3.1. مفهوم الهوية التاريخية:

الهوية التاريخية هي نتاج لحركة التاريخ والمجتمع تتغير وتتبدل وتتطور حسب وعي الشعوب بهذا التاريخ.

فالهوية التاريخية ليس هو التراث المادي بكل ما حصل به من تطورات في الحالات جميعا، وما تشهده من أحداث تعاقبت عبر العصور ولكنه الحاضر بكل تحولاته والمستقبل بكل احتمالاته أنه يمتد في حياتنا وينتقل معنا إلى المستقبل فهو جزء منا لا نستطيع أن نفك منه وبذلك يصبح سمة أصيلة ن سمات الهوية (بن نعيجة، 2016).

فالهوية والتاريخ عنصران متكاملان لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض ولا يمكن لهوية بدون تاريخ ولا تاريخ بدون هوية فهما عنصران متلازمان.

الهوية التاريخية هي أن التاريخ مرتبط بالهوية ولا يمكن أن تستثنى هذه العلاقة فيما يخص المجتمع، فهوية الجماعة مرتبطة ارتباطا وثيقا بتاريخها ولا يمكن أن تتصور هوية خارج البعد التاريخي للجماعة، والتاريخ له تأثير في توجيه سلوك الجماعة بالشكل الذي يحدد ملامح مواثيقها انطلاقا من المرجعيات الفكرية والعقائدية التي يحتفظ بها (بن يوسف وشيخاني، 2018، صفحة 16).

4.3.1. مفهوم المورفولوجيا:

- لغة: وهي في الأصل (Morphe) وتعني الشكل و(Logos) وتعني دراسة، فهي العلم الذي دراسة شكل، وهو علم يهتم بدراسة شكل وبنية الكائنات الحية وخصائصها المتميزة



- من ناحية المظهر الخارجي (الشكل، الهيكل، اللون، النسق، الحجم) وكذلك شكل وبنية الأجزاء الداخلية مثل العظام والأعضاء.
- اصطلاحاً: يعرف تعريف المورفولوجيا بأنه العلم الذي يقوم بدراسة التكوينات والصور والهيكل للأفراد من حيث الحجم والشكل.
- المورفولوجيا في علم الاجتماع: إن أول من استخدم مصطلح المورفولوجيا هو إيميل دوركايم في المجال السوسيولوجي بقوله "إن الحياة بأسرها تقوم على الشكل الأول الذي تتخذه الجماعة البشرية على الأرض، حيث يعتبر علم التشكل الاجتماعي أي المورفولوجيا العالم الذي يهتم بدراسة السكانية التي تهتم بتشكيل المجتمعات وأشكالها وصيغها المادية والعناصر التي تتألف منها ويتوزع السكان الجغرافي والهجرة الداخلية والخارجية وأنماط السكن والمساكن.
- أما عند موس فالمورفولوجيا الاجتماعية هي دراسة بناء المجتمع من حيث مظهره المادي الخارجي من حيث السكان وتكوينهم وتوزيعهم وثقافتهم وحركة تنقلاتهم وهجرتهم الخارجية والداخلية من الريف إلى المدينة (لطرش، 2014، صفحة 22).
- أما المورفولوجيا في المجال الحضري تهتم بدراسة أنماط المساكن والشوارع وشكل العمران فيها وكذلك الشكل العام للمدينة.
- ومن هنا يمكن تعريف المورفولوجيا بأنها تهتم بدراسة شكل ومكونات المدينة من الناحية العمرانية كالمباني والطرق وطرازها المعماري إلى جانب الجانب الحضري كتغير السكان ومستويات التطور التكنولوجي للمساكن.
- تعني المظهر العام للمدينة والذي يتغير من فترة لأخرى عبر تاريخها الطويل والمدن تمر بمراحل مورفولوجية عديدة، ولكل مرحلة خصائص ونماذج وأشكال معمارية تميزها عن المرحلة الأخرى وتمثل الموروث الحضاري الذي يعبر عن ثقافة سكان المدينة في تلك الفترة والذي يعكس النسيج الحضري للمدينة من خلال المخطط الأساسي المتضمن شبكة الطرق والمواصلات، وتوزيع استعمالات الأراضي والمخططات التفصيلية التي تحدد شكل قطع الأراضي وتصاميم الأبنية والفن المعماري.



5.3.1. مفهوم المدينة:

- لغة: مدينة جمعها مدن ومدائن وهي مجتمع من البيوت يزيد عن بيوت القرية (لطرش، 2014، صفحة 18).
 - اصطلاحا: المدينة على رقعة تتميز بالاتساع في عدد السكان وعدد المباني والأشكال الهندسية للمباني وتتميز بالتنظيم في شوارعها ومركز إداري، كما تتميز بتعدد الحياة فيها.
 - المدينة من الناحية الاجتماعية: يعرف لويس ويرث المدينة بأنها نمطا من أنماط التباين السكاني وأن نموها يمكن النظر إليه كعملية تاريخية مستمرة، فهي مكان إقامة دائمة للسكان المتباينين، وهناك ثلاث متغيرات تحدد طابع المدينة، أولها أعداد السكان وثانيهما كثافة الإقامة وثالثهما التباين السكاني وحياة الجماعة (عاطف، 1983، صفحة 12).
 - كما يعرفها روبرت بارك بأنها مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدن ومن هنا نجد المدينة هي مكان إقامة عدد كبير من السكان يتميز بنوع تركيبته السكانية وتنوع المباني وارتفاعها وتنظيم شوارعها، كما تتميز بتعدد الحياة بها، وإن المدينة تتغير من فترة لأخرى حسب تغير المجتمع وحسب الموروث الثقافي الذي ينعكس على شكل المدينة (لطرش، 2014، صفحة 19).
2. الهوية التاريخية للمدن الجزائرية:

يتفق المؤرخون أن البربر هم الأوائل الذين استوطنوا منطقة شمال إفريقيا، حيث كانت عرضة للغزو والاحتلال بداية من الرومان إلى الوندال والبيزنطيين والأسبان والأتراك وأخيرا الفرنسيين طمعا في خيراتها وثرواتها، حيث حاول الغزاة والمستعمرون طمس الهوية الوطنية المتمثلة في اللغة الأمازيغية من لغة وعادات وتقاليده وقيم وثقافة، إلا أن هذا الغزو والاستعمار أثر في خريطة الجزائر وعناصرها الاجتماعية والثقافية، حيث حاول البربر كباقي الأمم من المحافظة على استمرارها وبقائها وهذا ما أكدته العلماء والمؤرخون كالعلامة ابن باديس وابن خلدون.

لهذا فإن الأمم لا يمكنها بأي حال من الأحوال الاستغناء عن تاريخها سواء تعلق الأمر بالتأسيس لهويتها أو الحفاظ أو الدفاع عنها (مرتاض، 1972، صفحة 16).

فالتاريخ مرتبط بالهوية حسب قول الأستاذ عبد المالك مرتاض " والتاريخ في الجزائر، مما كان له أثر واضح في حفظ الشخصية الجزائرية، وتعميق أصالتها".

حيث تعود أولى بعثات الفتح الإسلامي إلى عهد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- الذي سمح لوالي مصر عبد الله بن أبي سرح بالخروج والزحف على ليبيا، وفي سنة 50 هجري أسس عقبة بن نافع القيروان التي أصبحت قاعدة خلفية للفتح الإسلامي وفي نفس السنة واصل أبو المهاجر دينار الفتح بالجهات الغربية (الجزائر حاليا) مروراً ببسكرة وصولاً لتلمسان، وبدخول العرب الفاتحين إلى الجزائر في عهد الدولة الأموية جلبوا معهم رسالة الإسلام بما حملته من تنظيم وتسيير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وهنا تم إعطاء مفهوم جديد للمدينة وللحياة الحضرية نشأت معه مدن عربية إسلامية ذات خصائص موحدة عبر كامل بلاد المغرب (ملاس ومنكول، 2023، صفحة 353).

حيث أصبحت العمارة الإسلامية النمط الغالب على معظم المباني والمنشآت كالمساجد والخدمات ودور العبادة والأسواق والتي استوحت مع ما يبقى من الحضارات التي توالى على الجزائر، مع أن الغالب في عمارة الجزائر في ذلك الوقت الطابع الإسلامي الذي امتزج مع العمارة الأمازيغية، حيث تشكلت مدن جزائرية ذات طابع إسلامي أمازيغي، متأثر بالحضارات القديمة الرومانية والبيزنطية والوندال. فقد شكلت مدن قامت على أنقاض المدن القديمة وتوسعت من جهتها أو شكلت مدن جديدة مختلفة عن تلك التي كانت قائمة وذلك نتيجة لموقعها من جهة ومن جهة أخرى متعلق بالامتداد التاريخي وما تعاقب عليها من " أحداث تاريخية غيرها ومما هو متعلق بالإنشاء العمراني في حد ذاته، أو ما هو متصل بالفكر وبأصل التخطيط العام " (ملاس ومنكول، 2023، صفحة 357).

ومع تواصل الأحداث التاريخية وتعاقب النظم السياسية والصراعات المختلفة وصولاً إلى سقوط الأندلس عام 1492، تنوعت الأنماط الحياتية داخل المدينة الجزائرية ودورها في الحياة الاجتماعية وامتدت هذه الفترة إلى دخول الأتراك العثمانيين لتبدأ مرحلة ثانية للعلاقة الإسلامية والنظام السياسي والاقتصادي والحضري، لعبت فيها المدينة دوراً رئيسياً ومتميزاً.

فقد تميزت العمارة في عهد الأتراك ببناء المساجد كمراكز اجتماعية واقتصادية وسياسية للمدينة لدورها في العبادة ودور العباد والحصون والمباني السكنية، حيث تميزت بمورفولوجية مميزة ميزها عن باقي المدن في العالم، حيث امتزجت فيها الثقافة العربية الإسلامية الأمازيغية وهذا ما يؤكد تأثر سكان الجزائر بالأتراك وبنوا واهتموا بها للدور الكبير لها كمؤسسات اجتماعية وثقافية وسياسية لحماية الدولة والاهتمام يشؤون العباد إلى حد سقوط الأتراك.

وبعد الاحتلال الفرنسي سنة 1830، حيث اتخذ الاحتلال الفرنسي سياسة طمس الهوية التاريخية من خلال تهديم المعالم التاريخية للمجتمع الجزائري بداية بتهديم المساجد ودور العبادة ومنع تدريس القرآن وتوقيف إنشاء المباني، وبناء الطراز الأوروبي بالشوارع الواسعة وعزل المباني السكنية كسياسة للقبض على المجاهدين والثوار، حيث فرضت فرنسا عناصرها العمرانية الأوروبية التي تختلف عن الثقافة الجزائرية محاولة لطمس الهوية الجزائرية وسلبت المجال الحضري للعمارة العربية الإسلامية الأمازيغية، حيث تلاشت ملامح الهوية التاريخية للمجتمع الجزائري وبقاء البعض كثكنات عسكرية.

وبعد الاستقلال حاولت الجزائر ترميم ما تبقى من آثار الحضارة العربية الإسلامية الأمازيغية وبناء المساجد وإقامة الأسواق إلا ما خلفته فرنسا من خراب وتهديم للبنية التحتية والقومية للبلاد، ليس من السهل بناءه في وقت وجيز، فسكن السكان للمباني التي خلفها الاستعمار وحاولت تشكيل مورفولوجية جديدة للمدينة الجزائرية، إلا أنها تأثرت بالطراز الأوروبي وقامت على أحقاد الاحتلال الفرنسي، إلا في بعض المدن التي توسعت على خلفية المدن القديمة وبقيت المخلفات التاريخية لها آثار تاريخية تزرعها الجزائر.

فالهوية الوطنية للفرد والشعب هي واحدة من أشكالها، إحساس بالانتماء للأرض ووعي بمكانتها والعلاقة المشتركة بين أبنائها وكذلك التاريخ، وإذا كانت الهوية بناء شاق وتركيب متعدد الأوجه والفئات فإن التاريخ ركن أساسي فيه، فلا يمكن للهوية ما إن تتكامل دون تاريخها، فهي ستكون حينها هوية فاقدة لذاكرتها، وأي شيء أكثر من الذاكرة بدون ارتباطها يمكن يحملها وملء هناك أشد وأكثر من التاريخ يستحق أن يكون شاهد على وجودها (خيرو، 2020، صفحة 613).

ومن خلال ما سبق نرى أن الهوية التاريخية يتم تحديدها من خلال جملة من العناصر:

أ. الأصول التاريخية: الأسلاف، الولادة، الاسم، المبدعون، الاتحاد، القرابة، الأبطال الأوائل.

ب. الأحداث التاريخية الهامة: المراحل الهامة في التطور، التحولات الأساسية، الآثار التنشئة الاجتماعية.

ج. الآثار التاريخية: العقائد، العادات والتقاليد (كتاف ونهايلي، 2019، صفحة 347).

وهكذا يظهر الترابط بين هذين العنصرين (الهوية والتاريخ)؛ فالتاريخ يعزز معاني الهوية كما نجد أن التاريخ يهتم بمشكلات المجتمع المعاصر وعلاقته بالمجتمعات الأخرى وثقافتها والأحداث التي تقع في الحاضر مع البحث في جذورها في الماضي، وتظهر لنا تجلياتها وخصوصيتها الاجتماعية والثقافية للمجتمع في الحاضر أو الحاضر والمستقبل وتداولها أشكال العمارة على مر العصور أبيننا تاريخية وجوانبها الاجتماعية والثقافية لكل منطقة.

3. البعد الجغرافي للمدن الجزائرية:

تتميز الجزائر بموقعها المتميز والاستراتيجي حيث تتوسط العالم وتقع في الجهة الغربية من قارة إفريقيا يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط وجنوبا مالي والنيجر وشرقا تونس وليبيا وغربا المغرب وموريتانيا والصحراء الغربية.

نظرا لموقعها المتميز تميزت المدن الجزائرية بالتنوع في تضاريسها من حيث المناطق الساحلية التي يسودها المناخ المعتدل وكثرة الأمطار وسهولة العيش وبكثافة سكانية عالية حيث يتركز معظم سكان الجزائر في السواحل سواء من الناحية الداخلية إلى الجزائر أو الخارجية كتنتقل سكان الريف إلى المدن الساحلية كتوفر متطلبات العيش وكثرة المصانع وبذلك كثر اليد العاملة وتنوع المساكن وكثرتها، والمدينة منطقة جذب للسكان والمراكز الإدارية فيها والتجارة وتوفر الخدمات عكس الريف التي تنعدم فيه المرافق والخدمات وسهولة التعليم وتنوع مراكزه والخدمات الصحية... الخ.

أما المناطق الهضاب والجبال ونظرا لصعوبة العيش فيها لوعورة منطقة الجبال الباردة شتاءً وشديدة الحرارة صيفا، حيث تكثُر فيها المناطق الزراعية وتقل الخدمات والمرافق الضرورية للحياة، حيث يتميز سكانها بمميزات تختلف عن سكان المناطق الساحلية كل حسب منطقته والمناخ الذي يسود فيه، أما المنطقة الثالثة هي المدن الصحراوية التي تمثل 86% ورغم شمساعتها إلا أنها تتميز بقساوة تضاريسها ومناخها الصحراوي بالبرودة شتاءً وجاف وشديد الحرارة صيفا حيث يقل السكان فيها، حيث يفضل السكان العيش في المناطق الساحلية التي تطل على البحر لسهولة العيش فيها، وتوفرها على معظم أو جل المرافق الضرورية والخدمات، وهذا التنوع في المدن الجزائرية أعطاهما صبغة متميزة عبر المدن الجزائرية كل حسب المنطقة كالمباني في السواحل ليس نفسه المناخ في المناطق الصحراوية، حيث يبني حسب مناخ وطبيعة سكانها حيث نجد المباني في السواحل والسهول تتميز بالتراس في السكنات وكثرة السكان وتنوعهم في كل المناطق وكل اللهجات، عكس المناطق في المدن الصحراوية التي تتميز بالتباعد وبمواد طبيعية حسب المنطقة.

إلا أنها تشترك في بعض الخصائص المدينة لبناء المسجد في وسط المدينة وبينوا حولها الأسواق أو المناطق التجارية ثم من حولها المباني التي تميزت الجزائر بصفة عامة نظرا لاجتماع الثقافة الإسلامية العربية الأمازيغية، حيث تشترك في الجوانب الاجتماعية والتاريخية والثقافية للجزائر.

إلا أن في الآونة الأخيرة غلب على المدينة أو البعد الجغرافي للمنطقة المباني الفوضوية وسوء التخطيط الحضري وبناء السكنات العشوائية أو الفوضوية من ضواحي المدن الكبرى نظرا للزواج الريفي للمدن واختلاط ثقافة الريف بالحضر، وإعطاء الخواص بيع الأراضي واستغلالها بشكل عشوائي عكس المباني في القديم التي تميزت بالتنظيم والشكل الهندسي الرائع حسب طبيعة المنطقة.

هذا التنوع في البعد الجغرافي أعطى للمدن الجزائرية ميزة تتميز عنها عن المدن الأخرى حسب موقعها الجغرافي والمظاهر التضاريسية التي تميز كل منطقة ومناخها السائد، حيث تميزت طبيعة السكان من مدينة لأخرى وأعطى أشكال وهياكل مميزة لمباني كل مدينة كالمباني في الجزائر العاصمة مثلا الذي تتميز بالعمارات العالية والمراكز

التجارية الكبرى والمصانع ليس في المناطق الصحراوية التي يتميز بالمباني البعيدة واتساع الشوارع والطرق لشدة حرارة المنطقة وصعوبة العيش فيها.

4. مورفولوجية المدينة الجزائرية:

تميزت المدينة الجزائرية بأشكال وأنماط داخل المدينة حسب التخطيط الحضري من جهة ومناطق عشوائية من جهة أخرى، وعمارات وطوابق في البناء من جهة ثالثة إلا أن مورفولوجية المدينة الجزائرية تميزت بالأنماط التالية:

1.4. الأحياء القديمة:

الأحياء القديمة التي تتواجد غالبا في وسط المدينة، وذلك من خلال بناءها من طرف السكان الأصليين للمدينة، حيث تتلاءم مع المنطقة وحسب طبيعة السكان وبنيت بمواد أولية تتواجد فيها والتي تتكون من ممرات ضيقة ومباني تتكون من طابقين، طابع ارضي يسمى الحوش ويتكون من عدة غرف بحي يحيط به مدخل طويل تحافظ على خصوصية سكان الحي وطابق علوي مطل على الحوش أما الجدار فيكون سميك لحفظ خصوصية سكان الدار، وعرفت المدن الجزائرية هذا النوع من السكان في العصر الإسلامي الذي أعطاه خصوصية ثقافية واجتماعية وعمرانية تميزت عن العمارة الإسلامية العربية والتي امتزجت مع الثقافة الأمازيغية التي أعطاه خصوصية منفردة على باقي الدول العربية والغربية، كما تتميز الأزقة بالضيق وانغلاقها، ومع انتقال السكان الأصليين إلى مباني فاخرة سكنها المهاجرين من الريف وأصبحت مساكن بالية تفتقد إلى أبسط ظروف الحياة الكريمة، وصعوبة تنقل المواصلات فيها وكثرة السكان فيها خاصة النازحين من الريف لعدم توفر أماكن إقامة في المدينة فكثرت فيها الانحرافات والجريمة والسرقه والتسرب المدرسي، فأصبحت مساكن بالية لا يسكنها إلا الفقراء والنازحين من الريف، إلا بعض الأحياء القديمة التي رمت وإعادة بنائها وأصبحت أحياء من الموروث الثقافي للمدينة لأحياء اجتماعية تزخر فيها المدينة.

2.4. المساكن الجماعية:

عرف هذا النوع من السكنات في الدول الأوروبية بعد الحرب العالمية الأولى نتيجة أزمة السكن وعدم توفر على الرقعة الجغرافية واسعة لبناء سكنات لسكانها ومع تزايد السكان فيها، حسب بنيت العمارات ذات الطوابق للعمال الذين يعملون في المصانع حيث شيدت حولها لتوفير السكن للعمال وسهولة التنقل للمصانع واستغلال المساحات الأخرى كمساحات خضراء.

وعرفت هذا النمط في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي، حيث سعت فرنسا لبناء هذا النوع من البناءات لإسكان السكان في طوابق متعددة وخاصة سكان الريف لتضييق الخناق على الثورة وسهولة مراقبة سكانها والحد من حرية الثوار.

إلا أنه بعد الاستقلال ونتيجة النزوح الريفي الكبير للمدن الكبرى قامت الدولة الجزائرية ببناء العمارات ذات الطوابق لإسكان عدد كبير من السكان في أقل مساحة، نتيجة انتشار الأحياء العشوائية أو القصديرية في ضواحي المدن، سعت الجزائر في القضاء على هذه الظاهرة للحفاظ على جمالية المدينة.

وبالرغم من بناء العمارات في المدن الجزائرية التي لا يتوافق مع طبيعة سكانها، فهي بنيت حسب الطراز الأوروبي الذي يتكون من غرفتين أو ثلاثة التي لا تتلاءم مع حجم الأسر الجزائرية آنذاك، فهي اسر ممتدة وكبيرة لذلك احدث السكان تغيرات في المسكن خاصة الشرفات حيث أغلقت ولذلك تغير المظهر الخارجي للعمارة وأصبحت تشويه المنظر الخارجي للعمارة. حيث لا تتلاءم هذه العمارات مع ثقافة الأسرة الجزائرية وخصوصيتها حيث بنيت هذه العمارات حسب الطراز الأوروبي لا تراعي خصوصية الأسر الجزائرية كمدخل الشقة التي يقابل الصالون غرفة المطبخ، حيث نجد في الطراز القديم للأحياء الجزائرية ابتعاد مدخل الدار عن صالون الضيوف، حيث لا نشاهد المرأة في الدار أو أبنائها.

إلا أنه في الآونة الأخيرة عرفت المدن الجزائرية نوع من سكنات ذات الطوابق حيث عرفت بالاتساع وكثرة الغرف ومساحات خضراء حولها وبتصميم داخلي وخارجي راقى سميت بالسكنات الترقية وجهت لذوي الدخل المرتفع والمستوى المعيشي العالي عرفت بالفلل والشقات الفاخرة.

إلا أنه وجد نوع آخر من هذه السكنات وهي السكنات التساهمية وجهت لذوي الدخل المتوسط، حيث عرف إقبال كبير من طرف الأسر وهو يشبه السكنات الاجتماعية إلا أنها تحتل من حيث المظهر الخارجي للمسكن الذي يتوفر على مساحات خضراء وأماكن اللعب للأطفال وتوفر المرافق الضرورية كالخدمات والتعليم والصحة والمراكز التجارية، حيث وجهت هذه السكنات الترقية للأسر النووية التي تميزت بها المدن الجزائرية في الآونة الأخيرة حيث تقلص عدد سكان الأسر من 03 أفراد إلى 06 أفراد في الأسرة الواحدة.

3.4. الأحياء الفوضوية أو العشوائية:

فالأحياء الفوضوية أو العشوائية هي نتيجة النمو السكاني الكبير للسكان من ناحية والهجرة الريفية من ناحية أخرى، حيث تبني هذه الأحياء بطريقة عشوائية غير منظمة تفتقد للتخطيط الحضري، حيث يبني السكان السكنات دون ترخيص أو بدون موافقة البلدية نتيجة بيع الأراضي ذات الطابع الخاص بأثمان رخيصة ويبني السكنات التي تخنق المدينة، فيلجأ السكان الخروج من وسط المدينة وبناء سكنات واسعة وبأثمان رمزية، كما أن النازحين من الريف نظرا لانعدام وجود السكنات في المدينة يلجأ سكان الريف إلى بناء أحياء قصديرية بمرادف أولية كالحصن والقصدير وأي مواد توفرت للبناء.

وتعتبر الأحياء العشوائية أو القصديرية في أطراف المدينة الصورة الغير الجمالية للمدينة، حيث تقل فيها وسائل النقل وتكثر فيها الجريمة والانحرافات نتيجة عدم تكيف السكان النازحين مع ثقافة مجتمع المدينة فتقع الصدمة داخل الفرد الريفي نتيجة لضغوطات الحياة في المدينة وتعقدها لعدم توفر على مسكن لائق وعلى شغل وتحسين الظروف المعيشية الاقتصادية لسكان الأطراف.

ويعود تاريخ ظهور هذه الأحياء في الجزائر إلى المرحلة الاستعمارية حيث تشير الإحصائيات إلى أنه في سنة 1954 كانت نسبة 30% من سكان الجزائر يسكنون الأحياء القصديرية وذلك لظروف فرضتها السياسة الاستعمارية، أما بعد الاستقلال فإن اتجاه سياسة التصنيع نحو إقامة مصانع كبيرة في المدن الكبرى والتي جعلها تستقطب اليد العاملة من الريف والتي كانت تعيش في حالة من الركود والتخلف الاقتصادي، كما أن

الظروف الأمنية التي عرفتها البلاد في العشرية الأخيرة من القرن الماضي والتي كان لها تأثير كبير في عملية حركة الهجرة نحو المدن (لطرش، 2014، صفحة 19).

كما اتجه السكان إلى بناء السكنات الفوضوية للحصول على مسكن اجتماعي لائق، حيث تحاول السلطات هدم السكنات القصديرية والعشوائية وبناء محلها سكنات راقية أو ما شابه ذلك.

5. المعطيات العمرانية لمدينة بسكرة:

شهدت مدينة بسكرة تطورات عمرانية منذ نشأتها بسبب توفرها على المياه والغطاء النباتي المتمثل في واحات النخيل والسلاسل الجبلية التي تحدها من الشمال، فقد عرفت عدة تطورات للسكنات بداية من كونها عبارة عن مداشر إلى غاية تحولها إلى مدينة، وسوف نحاول استعراض النمو العمراني لمدينة بسكرة من الاحتلال الفرنسي للمدينة إلى وقتنا الحالي.

1.5. مرحلة الاستعمار (1844-1962):

اعتبرت مدينة بسكرة منطقة عسكرية لموقعها المميز؛ ففي سنة 1878 بنى الاحتلال الفرنسي معسكر العامية العسكرية سان جرمان (Saint German) الذي كان معروف براس الماء لاكتمال مدينة بسكرة، وقد تم اختيار هذه المنطقة للأسباب التالية:

- التحصن في قلعة عسكرية خوفا من الأهالي.
- تواجد منابع المياه في هذه المنطقة للسيطرة على الأهالي باعتبارها مصدر تشريهم وسقي واحات النخيل.
- باعتبارها درع وعدم الاختلاط جنود الاحتلال بالأهالي وعلى هذا الأساس تكونت في تلك الحقبة نمطين من العمران هي:

- النمط الأول: النمط الأوروبي حيث يسكن المعمرون سكنات عصرية صممت على شكل شطرنجي حيث تميزت الشوارع بالتنسيق متماثلة ومتقاطعة لسهولة رؤية الأهالي إذا دخلوها، وسكنات متقاربة في الحجم وفي الشكل وبنيت بمواد لم تكن متعارف عليها في المنطقة كالاسمنت.

أول ما قام به المستعمر هو البناء شمالا خارج الواحة وذلك لأغراض عسكرية أكثر منها عمرانية، وقد كان هذا الانتقال بمثابة فكر جديد في استهلاك المجال بالنسبة للسكان المحليين، بالموازاة مع ذلك انتشر البناء الفوضوي بشكل كبير خاصة بعد اندلاع الثورة التحريرية بين الحي الأوروبي شمالا والمدينة القديمة جنوبا فتشكلت على إثره أحياء مهمة أبرزها حي سطر الملوك، حي البخاري وكذا في الجهة الشرقية لواد بسكرة (العالية) (بشارة وعداد، 2020، صفحة 142).

- النمط الثاني: ويتمثل في النمط القديم للسكنات حيث تتفرع عنها شوارع بمحاذاة مجاري المياه للبساتين الممتدة على مساحة واسعة التي تحولت لشوارع رئيسية تخترقها وتتفرع منها أزقة ثانوية تتصل بالمساكن المتباعدة، حيث لم يتم التخطيط لها بل تشكلت حسب مجاري المياه المتصلة بالبساتين حيث تشكل مساكن الأهالي متواصلة وخلفها البساتين.
- 2.5. مرحلة الاستقلال (1962-1974):

توسعت المدينة في هذه الفترة بشكل عشوائي بسبب غياب قوانين عمرانية لتعمير الأراضي الصالحة للبناء ومع التزايد السكاني للمدينة والهجرة نحوها وامتداد التوسع نحو الجهة الشمالية رغم وجود بناءات داخل غابات النخيل، وفي سنة 1974 استفادت المدينة التي أصبحت ولاية من سياسات عمرانية كباقي المدن الجزائرية التي تبنتها الدولة الجزائرية التي تمثلت في السكنات الفردية والجماعية واستثمارات، وذلك من أجل تنظيم عمران المدينة ومع ذلك لم يوقف البناء الفوضوي في المدينة والبناء على حساب غابات النخيل.

وفي هذه الفترة تم التركيز على الجهة الغربية لوادي بسكرة مع بوادر التوسع نحو الجهة الشرقية وذلك من خلال بناء الجسر الأول في مدينة بسكرة وكثافة الغطاء النباتي في الجنوب.

3.5. مرحلة (1975-1987):

في هذه الفترة توسعت المدينة من الشرق نحو الغرب وحتى من الشمال والجنوب حيث اتخذت شكل مروحي، كما توسعت المدينة من الجهة الجنوبية والجهة الغربية

وشرق وادي بسكرة وتوسع شبكة الطرقات وكان هذا التوسع على حساب الغطاء النباتي جنوبًا.

4.5. مرحلة (1987-2023):

خلال هذه السنوات أخذت المدينة في التوسع في جميع الجهات حيث امتدت إلى الشمال حتى الحدود الجغرافية للجبال، كما توقف التوسع في الجهة الجنوبية لوجود الغطاء النباتي ووصوله إلى المنطقة الصناعية والمنطقة العسكرية والمطار، واستمر توسع النمو على محور الشرق- الغرب ليصل التوسع إلى بلدية شتمة شرقا ومدينة الحاجب غربا مما سينتهي للاتحام الحضري. في حين أخذت تنمو وتتوسع بشكل طولي على امتداد الطرق الوطنية رقم (83، 46، 31، 83) إلا أنه في الآونة الأخيرة أخذت تنمو بشكل عفوي وفوضوي غير منظم في اتجاه الجنوب الغربي، قد شكلت العوامل الطبيعية الوادي وغابات النخيل عائق في توسع المدينة وبالتالي سيكون التوسع باتجاه الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية مستقبلا.

6. الخاتمة:

فالهوية التاريخية والبعد الجغرافي هما عنصران أساسيان في تشكيل مورفولوجية المدن الجزائرية حيث أعطى الامتداد التاريخي لها هوية تميزت على باقي دول العالم التي انعكست على الجانب الثقافي والاجتماعي والعقيدة الإسلامية والأمازيغية التي ميزت تلك المدن، كما أن للموقع الجغرافي للمدن الجزائرية دورا كبيرا في تشكيل مورفولوجية أي مدينة حيث تتوسط الجزائر العالم وتنوع التضاريس بها وتنوع الأقاليم المناخية فيها، حيث أصبحت مطمع كل الدول لموقعها وتوفرها على الكثير من الثروات الطبيعية، مما انعكس على مورفولوجية المدن بها حيث شكل عمران ميز كل مدينة من مدن الجزائر حسب موقعها ومدينة بسكرة كإحدى المدن الجزائرية عرفت هوية مميزة نظرا لامتدادها التاريخي الذي أعطاها هوية تاريخية فلا يمكن فصل التاريخ عن الهوية وفصل الهوية عن التاريخ فهما عنصران يكمل إحداها الآخر، وعرفت مدينة بسكرة مورفولوجية معينة للمدينة حيث امتزجت الأحياء القديمة التي مرت بها عدة حضارات وامتزجت مع ثقافة

المنطقة والأحياء الحديثة كالعمارات وبناء الفيلات وغيرها من مورفولوجية المدينة فتميزت بمورفولوجية حسب المكان والزمان التي مرت بها المدينة.

النتائج:

من خلال الدراسة لدور الهوية التاريخية والبعد الجغرافي في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية توصلنا إلى النتائج التالية:

أ. للهوية التاريخية والامتداد التاريخي دور في تشكيل مورفولوجية المدينة الجزائرية حيث مرت المدن الجزائرية بالعديد من الحضارات كالحضارة الرومانية والبيزنطية والوندالية والعثمانية والفتوحات الإسلامية والاستعمار الفرنسي... الخ، حيث أثرت في مورفولوجية المدن الجزائرية حيث امتزجت الحضارات القديمة مع الإرث الثقافي والاجتماعي والعقيدة الإسلامية الأمازيغية فشكلت نوع من العمران الذي ميز المدن الجزائرية.

ب. البعد الجغرافي له دور في تشكيل مورفولوجية المدن الجزائرية حيث أعطى الموقع الجغرافي لها لمسة عمرانية تأثرت بالموقع والتضاريس ومناخ كل منطقة، حيث تنوعت تضاريس المدن الجزائرية بتنوع مناخها وهذا ما أعطى صبغة مورفولوجية ميزت كل مدينة من مدن الجزائر حسب موقعها الجغرافي.

ج. البعد الجغرافي والهوية التاريخية للمدن الجزائرية شكلت أنماط مورفولوجية معينة في معظم المدن بداية من الأحياء القديمة والأحياء الاجتماعية التي تمثلت في العمارات بكل أشكالها إلى جانب بناء الأحياء القصديرية على أطراف المدن.

د. إن مدينة بسكرة كإحدى المدن الجزائرية عرفت امتدادا تاريخيا أعطاهها هوية تميزت عن غيرها ونظرا لموقعها الجغرافي المتميز حيث تعتبر بوابة الصحراء وحلقة وصل ما بين الشمال والجنوب، مما انعكس على مورفولوجية المدينة حيث تنوعت بين الأحياء القديمة التي مرت بها عدة حضارات والأحياء الحديثة كالأحياء السكنية التي تمثلت في السكنات الاجتماعية فتنوع العمران.

قائمة المراجع:

1. المؤلفات:

- ابن منظور. (1994). لسان العرب. بيروت- لبنان: دار صادر.
- بدوي، عبد الرحمان. (1984). الموسوعة الفلسفية، ط2، بيروت- لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2.
- بن نعيمة، نور الدين. (2016). الهوية الوطنية بين الموروث التاريخي وتحديات العولمة والرقمنة. مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارية.
- الجابري، محمد عابد. (1980). نحن التراث، ط1، المركز الثقافي العربي. دار الطليعة.
- عاطف، محمد. (1983). علم الاجتماع الحضري: مدخل نظري، بيروت- لبنان: دار النهضة العربية.

2. الأطروحات:

- لطرش، سارة. (2014). تأثير النمو السكاني في تغير مورفولوجية المدينة: دراسة ميدانية بمدينة سطيف، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر.
- منور، أحمد. (2001). أزمة الهوية في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، أطروحة دكتوراه، معهد الآداب العربي، جامعة الجزائر، الجزائر.

3. المقالات:

- بشارة، سمير وعداد، محمد الشريف. (2020). التحولات العمرانية في مدينة بسكرة وتأثيراتها على المحيط. مجلة علوم الإنسان والمجتمع. المجلد 09. العدد 05.
- خلف، بشير. (2006). الكتيبات للطفل بين العلم والفن. الحوار المتمدن. العدد 1609.



- خيرو، عامر ممدوح. (2020). التاريخ بوصفه أداة لتعزيز الهوية الوطنية (قراءة في رسائل فضل الأندلس). مجلة مداد الآداب. المجلد 25. العدد 01.
- كتاف، الرزقي ونهايلي، حفيظة. (2019). إشكالية الهوية بين ثقافة الصورة والثقافة الأصولية. مجلة سوسيولوجيا. المجلد 03. العدد 01.
- مرتاض، عبد المالك. (1972). أصالة الشخصية الجزائرية. مجلة الأصالة. العدد 08.
- ملاس، حسية ومنكول، فاطمة. (2023). تجليات البعد الاجتماعي والديني في عمارة المدينة العربية الإسلامية (حي القصبة العتيق بالجزائر أنموذجا). مجلة ألف. اللغة والإعلام والمجتمع. المجلد 10. العدد 02.
- Erikson, Erik. (1970). *Autobiographic Notes On The Identity Crisis*. The Making of Modern Science. Vol99. N. 04°USA.

4. المدخلات:

- بن يوسف، باية، وشيخاني، سعد. (2018). خصوصية الهوية الجزائرية. الملتقى الوطني حول إشكالية الهوية بين التأويل الإيديولوجي والفهم العقلاني. جامعة الوادي. الجزائر.